



معرف الكائن الرقمي للمقال: (DOI)1054239/2319-023-001-002

إسهامات أطباء الأندلس في تنشيط الحركة العلمية ببلاد المشرق الإسلامي
من خلال كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة
(ت668هـ/1270م)

The contributions of Andalusian doctors to activating the
scientific movement in the countries of the Islamic orient through
the book "Uyun ul-Anba Fi Tabaqt al-Atibba" by Ibn Abi Usaybi'a
(d 668AH/1270CE)

ط.د. الحاج زكراوي*

مخبر المخطوطات

جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله - الجزائر

elhadj.zekraoui@univ-alger2.dz

أ.د. أم الخير عثمانى

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة- الجزائر

o.otmani@univ-dbkm.dz

تاريخ القبول: 2024/04/12

تاريخ المراجعة: 2024/02/13

تاريخ الإرسال: 2024/01/26

المخلص:

العلاقات العلمية بين الأندلس والمشرق الإسلامي وثيقة جداً، والرحلة العلمية تؤكد ذلك، فهي تعدّ طريقاً ومنهجاً لزيادة التعلّم، والمساهمة في تنشيط الحركة العلمية في المكان الذي يتمّ التوجّه إليه، وممن كانت جهودهم واضحة في ذلك فئة الأطباء. خاصة أولئك الذين ارتحلوا من الأندلس إلى المشرق الإسلامي، أين برزت إسهاماتهم في الطبّ وفي غيره من العلوم، بالتعلّم والتدريس والتأليف وغيرها.

وللرغبة في مناقشة هذا الموضوع، قمنا بهذه الدراسة التي نرغب من خلالها تسليط الضوء على إسهامات أطباء الأندلس في تنشيط الحركة العلمية ببلاد المشرق، وذلك من خلال كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" لابن أبي

*الحاج زكراوي طالب د-جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)



أصْبِيْعَة (ت668هـ/1270م)، لأنّ الكتاب من المصادر المهمّة في مجال التراجم المتخصّصة، ومما يزيد في أهمّيّته أنّ صاحبه طيّب مؤرّخ، أمّا الخطّة التي اتّبعتها لمعالجة الموضوع فقد جاءت في جزأين، خُصّص الأوّل لدراسة المؤلّف، نشأته وعصره وشيوخه وتلامذته، ثمّ دراسة كتابه وسبب تأليفه، وأبرز ملامح منهجه فيه، والثاني، فذكر أهمّ الأطباء الأندلسيّين الذين تنقلوا إلى بلاد المشرق الإسلامي، مع إبراز إسهاماتهم المختلفة في تنشيط الحركة العلميّة ببلاد المشرق الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الطب؛ الأطباء؛ الأندلس؛ الحركة العلميّة؛ المشرق الإسلامي؛ ابن أبي أصْبِيْعَة؛ عيون الأنباء؛ طبقات الأطباء.

Abstract:

The scientific relations between Andalusia and the Islamic East were very close, and this is confirmed by the scientific journey, which was considered a way and method to increase learning, and then contribute to activating the scientific movement in the place to which it was headed, and among those whose efforts were clear in these relations were the category of doctors. Especially those who traveled from Andalusia to the Islamic East, where their contributions to medicine and other sciences emerged through learning, teaching, writing, etc..

Due to the desire to discuss this topic, we conducted this study through which we wish to shed light on the contributions of Andalusian doctors to activating the scientific movement in the Levant, through the book "Uyun al-Anba' fi Ṭabaqāt al-Aṭibbā'" by Ibn Abi Usaybi'a, as this book is considered one of the important sources in the field of specialized biographies. What increases its importance is that its author is a doctor and historian.

As for the plan that we followed to address this topic, it came in two parts. The first was devoted to studying the author by mentioning his life, his era, his teachers, and his students, then to studying his book, the reason for writing it, and the most prominent features of his approach to it. The second part included mentioning the most important Andalusian doctors who moved to the Islamic Orient, with an explanation of their various roles. In activating the scientific movement in the Levant.

Keywords : Doctors; Andalusia; the Scientific Movement; the Islamic Orient; Ibn Abi Usaybi'a; Ṭabaqāt al-Aṭibbā.

- مقدمة:

العلاقة العلميّة بين المشرق الإسلامي والأندلس وثيقةٌ جدًّا؛ فالأندلسيون لا ينقطعون عن السفر والترحال إلى المشرق لطلب العلم، على الرغم ممّا وصلت إليه الحركة العلميّة عندهم، لأنّهم كانوا ينظرون إلى علوم المشرق وعلمائه نظرة إعجاب وتقدير، ولعلّ من أهمّ الأمور التي أدّت بالكثير من الأطباء في الأندلس إلى الارتحال إلى المشرق الإسلامي ما كانوا يلقّونه من الإكرام والإنعام، ويجدونه من السبل المُعيّنة على طلب العلم والاستزادة فيه، وهو ما نوّه إليه الرحالة "ابن جبّير" في رحلته إلى المشرق، قال: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا، فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرّب في طلب العلم فيجد الأمور المُعيّنة كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة... فهذا المشرق بابه مفتوحٌ لذلك، فادخل أيّها المجتهد بسلام..." (ابن جبّير، دت، صفحة 232).

وكان للأطباء الذين ارتحلوا إلى المشرق الإسلامي واستقروا فيه، جهودًا واضحة في تنشيط الحركة العلميّة، حيث أسهم عددٌ من الأطباء الأندلسيين في التدريس والتأليف، والخدمة في البيمارستانات المشرقيّة، فرأجت مؤلّفاتهم وأراؤهم الطبيّة... لهذا أردت من خلال البحث توضيح بعض هذه الجهود التي قام بها أطباء الأندلس في المشرق الإسلامي، وضبطت ذلك من خلال أحد المصادر المهمّة في التاريخ الإسلامي كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة (ت668ه/1270م)، لتكون إشكاليّة البحث: كيف صوّر لنا ابن أبي أصيبعة حالة أطباء الأندلس الذين تواجدوا في المشرق الإسلامي، من حيث إسهاماتهم في تنشيط الحركة العلميّة هناك؟ ونثبّع هذا بأسئلة فرعيّة؛ ما أهميّة كتاب ابن أبي أصيبعة هذا؟، وما منهج المؤلّف فيه؟ ما هي العوامل التي شجّعت أطباء الأندلس للهجرة نحو المشرق؟، وفيم تجلّت إسهاماتهم في تخصّصهم وفي العلوم والفنون الأخرى؟.

وللإجابة عن الأسئلة السابقة قسّمتُ بحثي إلى جزأين: الأوّل خصّصته للمؤلّف وكتابه، فركّزت فيه على ذكر أهمّ المعلومات الخاصّة بالمؤرّخ الطبيب ابن أصيبعة، وكتابه ومنهجه فيه، أمّا الثاني، فعمدتُ إلى ذكر أهمّ أطباء الأندلس؛ ممّن ارتحلوا إلى المشرق الإسلامي أو وُلدوا به بترجمة مختصرة، مع ذكر ما أحالنا إليه المؤلّف من إنتاج علمي لهم ساعد في تنشيط الحياة العلميّة هناك، والهدف إبراز دور أطباء الأندلس في المشرق

الإسلامي، ممّا ذكره طبيب مؤرّخ مشرقي، لنرى انطباع الطبيب على الطبيب، وصورة التّكامل الفكري الذي كان بين المشرق والمغرب الإسلاميين.

1- ابن أبي أصيبعة ومؤلفه "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء":

بالرغم من اشتهاه ابن أبي أصيبعة وذبايح صيته هو ومؤلفه؛ إلا أنّنا نجد شحّا في المعلومات حول حياته نذكرها في الآتي:

1-1- الطبيب المؤرّخ ابن أبي أصيبعة "حياته ونشأته":

هو "مُوقِّقُ الدِّين، أبو العباس، أحمد بن القاسم بن خليفة الخَزْرَجِي؛ المعروف بابن أصيبعة (ابن تغري بردي، دت، صفحة 229) (الصفدي، 2000م، صفحة 193). (الزركلي، 2002م، صفحة 197) ولد بدمشق 596هـ (أنظر التعليق رقم 1)، وتوفي بصَرَخَد (ت 668هـ/1270م) (أنظر التعليق رقم 2)، ورث اسم الشهرة "ابن أبي أصيبعة" من جدّه الذي كان يُعرف ب"ابن أصيبعة" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 736)، ليُطلق هذا الاسم على العائلة بأكملها، بالنظر لتوجّهها لصناعة الطبّ، وتمكّنها في أمور الكخّالة (عكاوي، 2000م، صفحة 296).

نشأ ابن أصيبعة في أسرةٍ اشتهرت بالعلم والأدب وبعلاقاتها الجيدة مع الملوك والأمراء في الشام ومصر (السرّجاني، 2009م، صفحة 220)، الأمر الذي جعله يتّجه لطلب العلم والاشتغال على المشايخ فأتقن العلوم اللسانية على علماء زمانه في بادئ الأمر، ثمّ انصرف بعدها إلى تلقّي علوم الطبّ عن والده الذي برع في الكخّالة في دمشق، وعلى يد عمّه الذي كان عالماً في الطب (ابن أبي أصيبعة، دت، الصفحات 236-240)، ونتيجة لتلك البيئة الثقافية وعائلته العلمية، أصبح ابن أبي أصيبعة مهتماً بصناعة الطبّ، متميزاً فيها، كما رحل إلى مصر، وشغل منصباً في إحدى بيمارستانات القاهرة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 583) أين التقى العديد من الأطباء هناك كالشيخ السيد "ابن أبي البيّان" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 584). ليعود بعدها إلى دمشق ويلتقي ببعض أطبائها عام (633هـ/1236م) قبل أن ينتظم في خدمة الدولة الأيوبية؛ إذ وصلت شهرته إلى مدينة "صَرَخَد" ليرحل إليها نزولاً عند رغبة حاكمها (السرّجاني، 2009م، صفحة 220، 221).

أمّا عن أسانذته، فقد تتلمذ ابن أبي أصيبعة على يد العديد من الأطباء المشهورين منهم، والده وعمّه "رشيد الدين علي بن خليفة (ت 616هـ/1220م)"، وتتلّمذ على يد "مُهذّب الدين، عبد الرحيم بن علي



المعروف بالدخوار (ت 628هـ/1230م)؛ صاحب "المدرسة الطبيّة الدخوّاريّة" (النعيمة، 1990م، صفحة 100)، وأيضًا "رضي الدين، يوسف بن حيدر الرحبي" (ت 631هـ/1234م)، وغيرهم.

أما عن مؤلفاته، فقد اشتهر بكتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" الذي كتبنا من خلاله موضوع بحثنا الذي، وتمّ الاهتداء من محتوياته إلى عناوين مؤلفاته الأخرى التي تكون في عداد المفقودات: كتاب "معالم الأمم"، و"أخبار ذوي الحكم" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 8)، وكتاب "إصابات المنجمين" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 377)، وكتاب "حكايات الأطباء في علاجات الأدوية" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 419) بالإضافة إلى كتاب "التجارب والفوائد" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 697)، وله اهتمامات أخرى، حيث كان أديبًا طبييًا شاعرًا... ("الصفدي، 2000م، صفحة 193)، وكان فاضلاً عالمًا في الطب والأدب والتاريخ، وله شعرٌ كثيرٌ (ابن تغري بردي، دت، صفحة 229)، (ابن العماد، 1986م، صفحة 569).

1-2- عصرُ الطبيب "ابن أبي أصيبعة" وبينته:

سياسيًا، مثّلت الفترة التي عاش فيها ابن أبي أصيبعة النصف الأول من القرن (7هـ/13م) (أنظر التعليق رقم 3) حقبة حرجة تقادفتها تيارات سياسية متعدّدة سيطر كلُّ منها على أجزاء من الدولة الإسلاميّة، خاصّة مع بداية الاجتياح المغولي لها، فكانت الشّام ومصر بيئة ابن أبي أصيبعة، من نصيب الأيوبيين (567-647هـ/1171-1250م) الذين عُرفوا بجهادهم للصليبيين، غير أنّ هذا الجانب العسكري قابله جانب حضاري مزدهر في شتى العلوم، حيث اهتمّ الأيوبيون بمختلف العلوم النّقليّة والعقليّة، وعمل الحكّام والوزراء على تقريبهم وتشجيعهم للشّعراء والعلماء والكتّاب، فأحسنوا إليهم واستلطفوهم، وأكرمواهم لتكتظّ مجالسهم بهم (أنظر التعليق رقم 4).

ومن أشهر الأطباء الذين عُرفوا في هذه الفترة، عمّ ابن أبي أصيبعة "رشيد الدين علي بن خليفة" (ت 616هـ/1220م)، "مُهذّب الدين، عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار" (ت 628هـ/1230م) الذي انتهت إليه رئاسة الطب في أيامه، وأيضًا الطبيب "رضي الدين الرحبي" (ت 631هـ/1234م) (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 672 وما بعدها)؛ إذ كان مُبجّلًا عند الملوك وغيرهم... فكان لهذه البيئة العلميّة تأثير في تكوين شخصيّة بن أبي أصيبعة؛ الطبيب والمؤرّخ وكذا الأديب الشاعر.



1-3- تأليف الكتاب وأهميته:

لقي كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" إشادةً كبيرة من العديد من معاصريه وغيرهم، من المعتمدين عليه في كتبهم، وتباينت تسميته من ذكر العنوان كاملاً إلى اختصاره، فسماه المؤرخ "ابن كثير" (ت774هـ/1373م) "تاريخ الأطباء" (ابن كثير، 1988م، صفحة 299)، وأطلق عليه المؤرخ الإمام "الذهبي، شمس الدين" (ت748هـ/1348م) "تاريخ الحكماء" (الذهبي، 2006م، صفحة 427)، وسماه المؤرخ "ابن تغري بردي" (ت874هـ/1470م) "طبقات الأطباء" (ابن تغري بردي، 229)، وذكره الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة، باسم "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" (ابن أبي أصيبعة، 766)، كما أطلق عليه اسم "طبقات الأطباء" (ابن أبي أصيبعة، 725).

أما عن سبب تأليفه للكتاب، فهو يرى بأن التاريخ للطب والأطباء يحتاج إلى دراسات مركزة، فذكر سبب التأليف له أنه، لم يجد مَنْ اعتنى بها أو وضع لها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء، وفي ذكر أحوالهم على الولاة، فأراد أن يذكر في هذا الكتاب نُكْتاً وعبواتاً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمُحدثين ومعرفة طبقاتهم وحكاياتهم ونواديرهم ومُحاوراتهم وكتبهم (ابن أبي أصيبعة، 7)، فخصّ بتأليفه هذا الكتاب الوزير "أمين الدولة، كمال الدين، شرف الملة، أبو الحسن بنُ غزال بن سعيد" (ابن أبي أصيبعة، 8).

وفيما يخصّ سنة تأليفه، فإنّ جميع المعطيات التي توقّرت لدينا تُحيلنا إلى أنّه سنة (643هـ/1246م) بدمشق (الزركلي، 2002م، صفحة 197) وكانت النسخة الأولى ربّما في سنة (641هـ/1244م)، وهذا ما نوّه إليه عند ذكره للقاضي "رفيع الدين"، حيث ذكر وفاته في سنة (641هـ/1244م) (ابن أبي أصيبعة، 647)، ولم يتوقّف ابن أبي أصيبعة في زيادة الإضافات حتّى سنة (667هـ/1269م)؛ أي، سنة واحدة قبل وفاته (ابن أبي أصيبعة، 761)، وقسم كتابه إلى خمسة عشر باباً حاول من خلالها الإمام بجميع المعلومات التي تخصّ هذه المهنة قبل الإسلام وبعده، مهتماً بأدقّ التفاصيل حول ذلك.

2- منهج الطبيب المؤرخ "ابن أبي أصيبعة" في كتابه:

نذكر ملامح منهج المؤلف في كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" في الآتي:



2-1- النقد والاجتهاد في الرأي:

ذكر في مواضع عدّة روايات حول قضية مُعيّنة، ثمّ يقول " والأصحّ " أو " والصحيح " (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 246، 391) فاصلاً رأيه عن الآخرين ومسدّداً لما قالوه (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 391) مثال ذلك عند حديثه عن قصة تجديد البيمارستان العَضُدِي (أنظر التعليق رقم 5) وذكره لروايات تقول بأنّ الطبيب محمّد بن زكريا الرازي كان من الذين اجتمعوا على بناء هذا البيمارستان (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 415)، كما أيّد بعض الروايات، فعندما تكلم عن حقيقة قراءة ابن أبي صادق على الشيخ الطبيب الرئيس ابن سينا، قال: "هذا لا استبعده؛ بل هو الأقرب إلى الصحّة" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 461).

2-2- تبويب الكتاب:

أول ما خاض فيه ابن أبي أصيبعة هو، جدليّة مبدئيّة صناعة الطب وأوّل حدوثها (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 11 وما بعدها)، ثمّ قام قسّم أبوابه على أساس الطبقات، فكانت تراجمه في الأبواب الأولى من الباب الثاني حتّى الباب السابع على أساس التعاقب الزمني من ذكر آل أسقَلَيْيُوس، ومن كانوا مبتدئين فيها، حتّى الباب الثامن الذي تناول فيه، طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس، أمّا في الباب التاسع، فنّه إلى أهميّة الترجمة، ليضع لها باباً خاصّاً، أمّا الأبواب الأخرى (من الباب العاشر إلى الباب الخامس عشر) فهي ترجمات للأطباء في المناطق الإسلاميّة أو المناطق التي كانت على علاقة بالحواضر الإسلاميّة، بدايةً بالأطباء الذين ظهوروا في بلاد العجم، وطبقات أطباء الهند، ثمّ أطباء بلاد المغرب، وأطباء ديار مصر، وأخيراً أطباء الشام.

2-3- ترتيب التراجم:

اتّبع مبدأ التعاقب الزمني كأنّ يورد لفظ "أول" فمثلاً، في قوله عن أسقَلَيْيُوس: " هو أول من ذكر من الأطباء وأوّل من تكلم في شيء من الطب " (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 29)، وقوله عن الطبيب "جورجيس"، أنّه أول من بدأ في نقل الكتب، وكذلك اتّخذ ابن أبي أصيبعة الترتيب حسب صلة القرابة، وهذا ما يجعلنا نستنتج وجود بعض الأسر الطبيّة، كما فعل في ترجمته لأسرة آل بَخْتِيشوع (ابن أبي أصيبعة، دت، الصفحات 183-214). حيث ذكر الوالد والابن والحفيد وحفيد الابن، وفي ذكره أيضاً للأطباء الطيُفُوريين، وكذلك أسرة بني زَهْر (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 517)،



وتكرّر هذا الأسلوب لدى ابن أبي أصيبعة في العديد من المواضيع، كما اتخذ ترتيب التراجم حسب التلمذة، فكان يذكر طبيب وبعده طبيب تتلمذ على يديه (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 728).

2-4- تكرار التراجم:

جدّد ذكره لبعض الأطباء في بابين؛ وذلك لطبيعة القاسم المشترك الخاص بكلّ طبقة، فلمّا كان الباب الثامن يحتضنّ تراجم الأطباء السريانيين، فالتاسع ضمّ طبقة الأطباء النقلة، فوردت لهم تراجم في الباب الثامن وتكرّرت في الباب التاسع.

2-5- الترجمة وعناصرها:

ذكر في التراجم اسم المترجم له وكنيته ولقبه واسم شهرته ونشأته، وغيرها، وأحياناً اكتفى في مواضع بذكر شخصيّة المترجم دون توابع الاسم (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 161، 167، 170، 179، 183، 220 وغيرها كثير)، ويضيف إلى المترجم له اسم الأب والجدّ أو بذكر الكنية فقط؛ مثل الطبيب "ابن أثال" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 171)، الطبيب "أبو الحكم" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 175).

وجمع بين الاسم واللقب والكنية والمهنة أحياناً، مع قبيلة المترجم له، وأحياناً أضاف ديانته التي عُرف بها والبلد الذي يُنسب إليه فمثلاً: بالنسبة للمهنة: فنُّيون الترجمان (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 280)، أبو يوسف الكاتب (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 282)، ابن الجرّار (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 481)، الشريف الكحال (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 660)، أمّا بالنسبة للقبيلة: الكندي (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 285)، الشيباني (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 703)، وبالنسبة للديانة: تادرس الأسقف (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 283)، أبو وصيف الصابئ (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 311)، أمّا الشهرة: علي بن يحيى المعروف بابن المُنجم (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 283)، وللبلد: قسطا بن لوقا البعلبكي (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 329)، شهدي الكرخي (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 280).

أمّا فيما يخصّ ذكر مولد المترجم لهم، فلا نجدّه يهتمّ به كثيراً، إلا في مواضع قليلة، وجاءت أغلبها في بداية الترجمة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 407)، وفي مواضع نادرة جمع تاريخ المولد مع تاريخ الوفاة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 496)، وفي المقابل لم يُهمل تاريخ الوفاة، وحرص في الغالب على ذكرها، كما يحيلنا إلى عصور بعض الأطباء، من خلال خدمتهم

للسلاطين المشهورين، وينوّه أحيانًا إلى سبب الوفاة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 307).

وكان موطن ومسكن الأطباء من أولويات ابن أبي أصيبعة، حيث قسّم كتابه على حسب اشتراك المترجم لهم في الموطن: "طبقات أطباء الهند، وأطباء مصر، وأطباء الشام"، وضمّن هذه الأبواب أيضًا تأكيدًا على الموطن الأصلي لبعض الأطباء، ممّن هو من بلدٍ أو حاضرة أخرى، وقدم ليستقرّ في مكانٍ غير موطنه الأصلي، ليُحيلنا إلى مدى تعمق التواصل الحضاري، من خلال تنقّلات الأطباء إلى المناطق الأخرى لأخذ العلم أو للاستقرار هناك (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 603، 628، 630، 660)، وربما أراد التنويه إلى ذلك ليميّز بين من هو شاميّ أو مصري الأصل، وبين من هو قادم إلى الشام أو مصر من مدن وبلدان أخرى (رحيم حلو، 2006، صفحة 144).

وبالنسبة إلى الأبواب التي لا تحمل في عناوينها قاسم الاشتراك بالمدن أو بالموطن، فقد حرص على ذكر مواطن الأطباء فيها، كذكر الطبيب "الحارث بن كِلْدَة" على أنّه من الطائف (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 161)، وعبد الملك بن أبجر الكناني، على أنّه من الإسكندرية، وبعده ذكر الطبيب "ابن أثال"، على أنّه كان دمشقي (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 171).

ذكر الوظائف الأخرى التي هي خارجة عن نطاق الطب التي مارسها بعض الأطباء، فمنهم من مارس التجارة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 668) أو الحسبة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 293) والكتابة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 430) أو تولّى القضاء (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 586) أو الوزارة (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 663)، ومن بين عناصر الترجمة عنده أيضًا تركيزه على ديانة ومذهب هؤلاء الأطباء، وتقييم مكانتهم العلمية في الصناعة وفي اهتماماتهم الأخرى كالشعر والأدب وعلوم النجوم والفلسفة...، كما كان يذكر رحلاتهم وتنقلاتهم، ويذكر أساتذتهم وتلامذتهم...

3- إسهامات الأطباء الأندلسيين في تنشيط الحركة العلمية ببلاد المشرق الإسلامي:

لم يبرع المغاربة في مجال الطب فقط؛ بل كانوا كغيرهم من أطباء ذلك العصر يتميّزون بالموسوعية العلمية والتبحر في علوم عدّة، حيث كان ابن أبي أصيبعة يحيلنا إلى اهتمامات الأطباء، من معرفتهم للحساب والنجوم، وبراعتهم في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث



وَالْأَخْبَارَ وَالجِدَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَهَّرَ بِالْمَنْطِقِ وَالْمَوْسِيقَى وَعِلْمِ النَّبَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ.

3-1-العوامل التي شجعت أطباء الأندلس للتوجه نحو المشرق الإسلامي:

هناك العديد من العوامل التي دفعت بالأندلسيين إلى الرحيل من الأندلس، والتوجه نحو أقطار عربية وإسلامية مختلفة كبلاد المشرق الإسلامي، ونمى بين نوعين من العوامل منها، عوامل جذب، وأخرى عوامل طرد، ومن نماذج ذلك:

- أداء فريضة الحج؛ عُدَّ الحج عاملاً أساسياً في ارتحال أهل الأندلس إلى بلاد المشرق الإسلامي، فهو الركن الخامس من أركان الإسلام، ووجدنا من الأطباء من كان توجهه لأداء مناسك الحج والعودة إلى الديار أو يُغَيَّر مَقْصِدُهُ، فيُحَدِّثُ الاستقرار في بلدٍ ما، كما فعل الطبيب "أبو العباس بن الرومية" الذي استدعاه الملك "العادل أبو بكر بن أيوب (ت615هـ / 1219م)" بالقااهرة، وقام بتكريمه، وقرَّر له جامعية وجرية، بشرط أن يقيم عنده فلم يفعل، وقال: "إنما أتيتُ من بلدي لأُحجَّ وأرجعَ إلى أهلي" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 538)

- الرحلة من أجل طلب العلم والتزوّد فيه؛ إذ كانت رحلة الأندلسيين نحو المشرق الإسلامي بأعداد كبيرة ولم يُعْرَف عنها انقطاع في أيّ وقت من الأوقات لأهميتها الكبيرة في تكوين الشخصية العلمية، ومما هو معروف أنّ طلب العلوم ولقاء المشايخ مزيّد كمال في التعلّم وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول ورسوخ الملكات (ابن خلدون، 1981م، صفحة 744، 745)؛ بل وُعِدَت الرحلة العلمية مظهرًا من مظاهر الجدية في طلب العلم، أمّا الوجهة، فقد ضبطها ابن أبي أصيبعة بذكره في أغلب المواضع البلد الذي رحلوا إليه كمصر أو الشام أو بغداد، وفي مواضع أخرى أطلق المعلومات بصفة العموم كقوله بلاد المشرق، ومن ذلك قوله عن الطبيب ابن السمينية: "ومن أطباء الأندلس يحيى بن يحيى المَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمِينِيَّةِ، مِنْ أَهْلِ قَرْطَبَةَ... وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، ثُمَّ انْصَرَفَ" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 482).

وفي مواضع أخرى يدقّق في الأماكن التي ذهب إليها الطبيب، فعندما ذكر الطبيب "محمد بن عبدون الجبلي العذري" قال أنّه رحل إلى المشرق ودخل البصرة ولم يدخل بغداد وأتى مدينة فسطاط مصر، ودبّر مارستانها (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 492)، كما لم يُهْمَلْ نهايات الرحلة من عودة



أو استقرار، مثلاً: "وأنتى أبو الصلّت من الأندلس إلى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدّة، ثمّ عاد بعد ذلك إلى الأندلس" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 501)..

ومن العوامل الأخرى ملاءمة الظروف، فمن الأطباء من انتقل إلى المشرق الإسلامي رفقة الفاطميين، فمما ذكره ابن أبي أصيبعة وهو في صد الكلام عن الشيخ محمد بن سعيد التميمي؛ أنه لقي الأطباء بمصر، وناظرهم واختلط بأطباء الخاص القادمين من أهل المغرب في صحبة المعز (أنظر التعليق رقم 6) عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 547).

واختلف في مدّة الرحلة، فمنهم من استقرّ وبقي، ومنهم من أثار العودة إلى بلاده بعد أن حصل من العلوم ما أراد، وكانت مصر هي المحطة الأولى التي يأتيها الأطباء من بلاد المغرب الإسلامي، وذلك إما مقصداً إليها، وإما لكونها معبراً نحو بلاد الحجاز والشام والعراق، وعُرف عن المشرق الإسلامي وهو لا يختلف عن الأندلس، من أن الحكام والأمراء كانت لهم عناية بالغة بالعلماء ومنهم الأطباء، ودليل ذلك ما سنأتي على ذكره عند الحديث عن أهمّ أطباء الأندلس الذين تواجدوا بالمشرق الإسلامي مُبرزين مكانتهم لدى الخلفاء.

تميز الأطباء الذين رحلوا إلى المشرق لدى الأندلسيين بكثرة اطلاع ومعرفة أكبر من أولئك الذين لم يكن لهم نصيب في الرحلة نحو المشرق الإسلامي، فالحالة السياسيّة التي آلت إليها الأندلس، بفعل الهجمات الإسبانيّة والصراعات الداخليّة، فبعد زوال الدولة الأمويّة ظهرت الصراعات بين دول وملوك الطوائف (422-479هـ) (المقري، 1997، صفحة 213) وسقوط دولة المرابطين (479-539هـ/1087-1145م) من بعدها (ابن خلدون، 1981م، صفحة 214) ليحين الدور على الموحدين (539-668هـ/1145-1270م)، فكانت حالة اللّا استقرار سبباً في الهجرة.

3-2- أطباء الأندلس ودورهم في تنشيط الحركة العلميّة:

في هذا المبحث سنكتفي بذكر البارزين من الأطباء الذين كان لهم دوراً واضحاً في الحياة العلميّة في الطبّ وفي غيره، وهناك كثير من الأطباء؛ ممّن شدّوا الرّحال إلى المشرق الإسلامي يصعب استيفاءهم منهم:

3-2-1- أبو جعفر، يوسف بن أحمد بن حسّدي (ت 530هـ/1136م) : ذكره ابن أبي أصيبعة بأنّه من الفضلاء في صناعة الطب، لما أولاه من عناية بالغة

في الإطلاع على كتب الحكيمين "أبقراط" و"جالينوس" وفهمها، وكانت له رحلة من الأندلس إلى الديار المصرية، حتى ذاع صيته فتميز في أيام الأمر بأحكام الله (ت524هـ/1130م) من الخلفاء المصريين، خدم المأمون أبو عبد الله، محمد بن نور الدولة، أبي شجاع الأمري في مدة أيام دولته وتدييره للملك، فشرح له كتب أبقراط، ككتاب الفصول، وكتاب الأيمان، وذلك نزولاً عند طلبه، وقد وقف ابن أبي أصيبعة على شرحه في كتاب الأيمان؛ وذكر أنه أجاد في شرحه له، واستقصى ذكر معانيه وتبينها على أتم ما يكون وأحسنه، وكان بينه وبين ابن باجة (ت533هـ/1139م) صداقة، فكان أبدأ يرأسه من القاهرة" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 499).

ومن أهم كتب يوسف بن أحمد بن حسداي: "الشرح المأموني لكتاب الأيمان لأبقراط" المعروف بعهدته إلى الأطباء، صنفه للمأمون أبي عبد الله محمد الأمري، وكتاب "شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لأبقراط"، وكتاب "فوائد مستخرجة من شرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس إلى أغلوقن"، كتاب "كتاب الإجمال في المنطق"، وكتاب يشرح كتاب الإجمال (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 500)، والمستنتج من هذا أن الطبيب قد تخصص في كتب الحكيمين "أبقراط" (460-377 ق.م)، و"جالينوس" (129-200م)، واجتهد في وضع الملخصات والشروحات لكتبهم، وهذا يدل على اطلاعه وتعلقه بهاذين الطبيبين، وأنه كان باحثاً علمياً في مجال الطب.

3-2-2- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت (ت529هـ/1134م):
تميز في الطب وفي غيره من العلوم، رحل من الأندلس إلى مصر في حدود (510هـ/1117م) ليقوم مدة بالقاهرة، وكان أن حدثت له محنة بالإسكندرية سجن على إثرها (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 501، 502)، ولما وصل أبو الصلت إلى الديار المصرية اجتمع بسلامة ابن رخمون، وجرت بينهما مباحث ومشاعات، وكان يراه غير مؤهل للتدريس، وذلك أن تحصيله وتحقيقه واستقصائه للعلم كان ناقصاً؛ إذ كان يضل بكثرة كلامه ويزل لسرعة جوابه (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 568، 569)، فقال أبو الصلت عنه يهجو:

جُنُونُ أَبِي الْخَيْرِ الْجُنُونُ بَعَيْنِهِ ... وَكُلُّ جُنُونٍ عِنْدَهُ غَايَةُ الْعَقْلِ
خُدُوهُ فَعَلُوهُ فَشُدُّوْا وَتَأَقَّه ... فَمَا عَاقِلٌ مَنْ يَسْتَهِينُ بِمُخْتَلِّ
وكان يؤذي الناس بالقول وحده ... فقد صار يؤذي الناس بالقول والفعل

(ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 569)،

وهذا ينمُّ على سعة العلم الذي كان يحوزه أبو الصلت، سواءً في الطب أو غيره من العلوم أو حتى في مجال الأدب والشعر. وكانت ولادته سنة (460هـ/1068م)، وتوفي سنة (529هـ/1135م) بالمهدية (الذهبي، 2006م، صفحة 428).

أمَّا مؤلفاته التي ذكرها ابن أبي أصيبعة "الرسالة المصرية"، كما له "كتاب في الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء"، وكتاب "الانتصار لحُنين بن إسحاق علي ابن رضوان في تتبُّعه لمسائل حُنين"، وله من المؤلفات من غير الطب "كتاب حديقة الأدب" و"كتاب المُلح العصرية من شعراء أهل الأندلس والطارئين عليها"، وله ديوان في الشعر، ورسالة في الموسيقى، وله في الهندسة مؤلف أيضًا، و"رسالة في العمل بالإسطرلاب"، و"كتاب تقويم منطِق الذهن"، وتميِّز أبو الصلت بالموسوعية، ومعرفة علوم عدَّة فكان في الطب كان منتصرًا لحُنين بتأليفه ردًّا على مَنْ نَقَدَ حُنين، وتميِّز في الأدب والشعر والموسيقى والهندسة والمنطق، حتَّى قال عنه صاحب نوح الطيب: "...فخرج في فنون العلم إمامًا، وأمتنُّ علومه الفلسفة والطب والتلحين... وكان يكتي بالأديب الحكيم)المقري، 1997، صفحة 105، (106).

3-2-3- أبو العباس بن الرومية (ت 637هـ/1239م): أبو العباس، أحمد بن محمَّد بن مفرج النباتي؛ المعروف بابن الرومية، من اشبيلية، برز في علم النبات، وتشخيص الأدوية وقواها و معرفته لمانافعها وأوصافها وتحديد مواطنها، رحل إلى المشرق الإسلامي ووصل ديَّار مصر، سنة (613هـ/1217م)، فأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين، حيث درَّس الحديث في العلوم الشرعية، أمَّا في الطب فكان بحثه وهُمَّ مُعَايِنَةُ النَّبَات ومُشَاهِدَةُ مَنَابِتِهِ ومَوَاضِعِهِ، و عند قدومه من المغرب إلى الإسكندرية سمع به الملك العادل أبو بكر بن أيوب (ت 615هـ/1219م) وعلم فضله وقوة معرفته بالنبات.

وكان الملك العادل حينها في القاهرة، فاستدعاه وأكرمه وقرَّر له جامكية وراتبًا مقابل الإقامة عنده فلم يفعل، وذلك لما نواه من تأدية مناسك الحج ثم العودة إلى الأهل، إلاَّ أنَّه بقي مقيمًا لمدة، ثمَّ اتَّجِهَ إلى الحج ليعود بعدها للإقامة في اشبيلية، ومن كتبه، "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس"، بالإضافة إلى مقالة في تركيب الأدوية (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 538)، ومما لاشك فيه أنَّه وجد نباتًا غير ذلك الذي هو في الأندلس،

فرحلته هذه أبانت عن ثمارها بما ألفه من كتب في هذا المجال، وربما قد نذل له الملك العادل الصعاب وقدم له الإعانة اللازمة على جمع النبات ودراسته، ففي الأخير مؤلفه في التزيان قد خصه به.

3-2-4- الرئيس موسى (ت601هـ/1204م): هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، أحد علماء اليهود أسلم بالمغرب، ولما انتقل إلى مصر ارتد وصار رئيساً على اليهود هناك (أنظر التعليق 7)، وكانت له معرفة جيدة بالفلسفة، وبلغ من الطب المكانة العالية حتى عد من المتميزين فيه، فمكنته من خدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين، كما أخذ لنفسه مكانة في مدح الشعراء، فكان مما قيل فيه:

أرى طب جالينوس للجسيم وخذّه ... وطب أبي عمران للعقل والجسيم (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 582، 583)، وللرئيس موسى من الكتب؛ "اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس"، و"مقالة في البواسير وعلاجها"، و"مقالة في تدبير الصحة" صنفها للملك الأفضل علي بن الملك الناصر، صلاح الدين يوسف بن أيوب، و"مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالة"، بالإضافة إلى كتاب "شرح العقار"، كما له كتاب على مذهب اليهود (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 583).

ومن أولاده، إبراهيم بن الرئيس موسى الذي كان منشؤه بفسطاط مصر، وكان هو الآخر على غرار أبيه طبيباً، خدم الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، واشتغل في البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر (أنظر التعليق رقم 8)، ويعالج المرضى فيه، يذكر ابن أبي أصيبعة اجتماعه به في سنة (1254هـ/632م) بالقاهرة، في بيمارستانها، فوجده لطيف الكلام متميزاً في الطب (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 583)، ليكون لهذه الأسرة الطبية دوراً كبيراً في خدمة علوم الطب، وخدمة الملوك به.

3-2-5- أبو الحكم (ت549هـ/1155م): هو أبو الحكم، غييد الله بن المظفر الباهلي الأندلسي، تميز في الحكمة والطب، وله اهتمام بالأدب فاشتهر بالشعر والمجون، وعرف عنه إيمانه الشراب (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 614)، وكانت له معرفة بالموسيقى واللعب بالعود، وله مجلس خاص للطب بدمشق، ولم يذكر لنا ابن أبي أصيبعة تواجد الطبيب في الأندلس، باستثناء ما ذكره عن أصله الأندلسي، وذكر له رحلة نحو بغداد والبصرة، قبل أن يعود إلى دمشق التي أقام بها إلى حين وفاته، وكانت وفاته سنة (1155م) بدمشق، وكان هذا الطبيب محل اهتمام لدى الشعراء، فنجد الواحد منهم يمدحه والآخر

يهجوه، فها هو أبو الفضل بن المَلحي يكتب قصيدةً إلى أبي الحكم في أثناء كتاب كتبه إليه شاكرًا لفعله :

إِذَا مَا جَزَى اللهُ إِمْرَاءَ بِفِعَالِهِ ... فَجَازَى الْأَخَ الْبِرَّ الْحَكِيمَ أَبَا الْحَكَمِ
هُوَ الْفَيْلَسُوفُ الْفَرْدُ وَالْفَاضِلُ الَّذِي ... أَقَرَّ لَهُ بِالْحِكْمَةِ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ
وكان أبو الحكم يهاجي جماعةً من الشعراء الذين كانوا في وقته ويهاجونه،
فكان ممّا قيل فيه :

لَنَا طَبِيبٌ شَاعِرٌ أَسْتَنْزَرُ ... أَرَاخَنَا مِنْ شَخْصِهِ اللهُ....وقيل فيه أيضًا:
يَاعَيْنُ سَحِي بِدَمْعِ سَلَكَبٍ وَدَمٍ ... عَلَى الْحَكِيمِ الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ (ابن أبي
أصيبيعة، دت، صفحة 615، 616)،

ومن هجاءه للطبيب المُفْسِكَل اليهودي على سبيل المَرثِيَّة:
أَلَا عَدَّ عَنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ ... وَعَرَّجَ عَلَى قَبْرِ الطَّبِيبِ الْمُفْسِكَلِ
فِيَا رَحْمَةَ اللهِ اسْتَهْيِنِي بِقَبْرِهِ ... وَكُونِي عَنِ الشَّيْخِ الْوَضِيعِ بِمَعْرَلٍ
(ابن أبي أصيبيعة، دت، صفحة 625).

ويبدو أنّ ابن أبي أصيبيعة مُعجب بشعره، فقد خصّص أكثر من تسع صفحات ليذكر نماذج من ديوانه، فذكر بعضًا ممّا قاله في مدح الرئيس مؤيد الدين، أبا الفوارس بن الصوفي، وفي مدح الرئيس جمال الدولة (ابن أبي أصيبيعة، دت، صفحة 617). وغيرهم، واشتهر بأرجوزته المسماة بـ"مَعْرَةَ البيت" يذكر فيها ما ينال الإنسان إذا عمل دعوة للندماء من المضرة والغرامة، وهي مائة وستون ذكرها ابن أبي أصيبيعة كاملةً، في مطلعها يقول:
مَعْرَةَ الْبَيْتِ عَلَى الْإِنْسَانِ ... تَطَّرَا بِلَا شَكِّ مِنَ الْإِخْوَانِ
(ابن أبي أصيبيعة، دت، صفحة 620)، وكانت وفاته (549هـ/1145م)
(ابن أبي أصيبيعة، دت، صفحة 627).

ومن أولاده، أبو المجد، محمد بن أبي الحكم (ت570هـ/1174م) تميّز في الطب، وعلم الهندسة والنجوم، تتلمذ على والده وعلى غيره بالطب، ولمّا أنشأ الملك العادل، نور الدين (أنظر التعليق 9) البيمارستان الكبير، جعله فيه وخصّ له راتبًا، فتردّد إليه ليعالج المرضى (ابن أبي أصيبيعة، دت، صفحة 628)، قدّم ابن أبي أصيبيعة صورةً عن حاله في البيمارستان، وهو يقدّم خدماته الطبيّة والتعليميّة، فكان يدور على المرضى به، ويتفقّد أحوالهم، ويعتبرُ أمورهم وبين يديه المشارفون، والقوام لخدمة المرضى، وجميع ما يكتبه لكلّ مريض من المداواة والتدبير لا يؤخّر عنه ولا يتوانى في ذلك، قال وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان



الدولة، يأتي ويجلس في الإيوان الكبير للبيمارستان وجميعه مفروش، ويحضر الاشتغال ... فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثم تجري مباحث طبيّة ويُقرئ التلاميذ ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات، ثم يركب إلى داره" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 628).

وما يمكن استنتاجه من هذا النص هو ميزات الحياة اليومية لهذا الطبيب الذي كان يقسم يومه إلى فترات، فيبدأ بتفقد المرضى من العامة وتقديم الوصفات اللازمة، ولما ينتهي من ذلك يتفقد المرضى من أعيان الدولة، ثم يأتي إلى البيمارستان ويبدأ التدريس لمدة ثلاث ساعات متتالية، وبعدها يرجع إلى منزله.

3-2-6- ضياء الدين بن البيطار (ت646هـ/1248م) : هو أبو محمد، عبد الله بن أحمد المالقي النباتي؛ المعروف بابن البيطار، برع في معرفة النبات وتشخيصه واختياره ومواضع نباته، ونعت أسماءه على اختلافها وتنوعها، ولم يكتف بما وجده ببلاد المغرب من النبات ممّا عاين منابته وتحقق من ماهيته، فشد الرحال إلى بلاد المشرق الإسلامي وإلى بلاد الروم، ولقي جماعة يعانون هذا الفن، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير، وعاينه في مواضعه (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 601)، ويصفه ابن أبي أصيبعة في شخصه وعلمه: "وأقن دراية كتاب ديسفوريدس إتقاناً بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يُجاريه فيما هو فيه، وذلك أنني وجدتُ عنده من الذكاء والفتنة والدراسة في النبات، وفي نقل ما ذكره ديسفوريدس وجالينوس فيه ما يُتَعَجَّب منه"، كما يصف بعضاً ممّا شاهده عليه عند اجتماعه به في دمشق يقول: "وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ورأيتُ أيضاً من حُسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه وجودة أخلاقه ودرأيته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويُتَعَجَّب منه، ولقد شاهدتُ معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه" (LECLERC, 1876, pp. 228, 229).

وكان ابن أبي أصيبعة أحد تلامذته يقول: "وقرأتُ عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسفوريدس فكنْتُ أجد من غزارة علمه ودرأيته وفهمه شيئاً كثيراً جداً"، ولم يتوان تلميذه في وصف منهجه في التدريس وفي كيفية تعامله مع الكتب خاصة كتب ديسفوريدس وجالينوس والغافقي، وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان منهجه في التعليم يذكر أولاً ما قاله ديسفوريدس في كتابه باللفظ اليوناني، على ما قد صحّحه في بلاد الروم، ثم

يذكر جُمْل مَّا قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله، ويذكر أيضًا ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله... وأعجب من ذلك أيضًا أنه كان ما يذكر دواءً إلا ويُعَيَّن في أيِّ مقالةٍ هو من كتاب ديسقوريدس، وجالينوس، وفي أيِّ عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 601).

أمَّا فيما يخصَّ خدمته، فقد قرَّبه إليه الملك الكامل، محمد بن أبي بكر بن أيوب (أنظر التعليق رقم 10)، وكان يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش؛ بل وبلغ من المكانة ما جعله رئيسًا على سائر العشَّابين، كما خَدَم الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان حظيًّا عنده، متقدِّمًا في أيامه (ابن أبي أصيبعة، دت، ص 601)، وقبل أن توافيه المنية بدمشق في شهر شعبان سنة (646هـ/1249م).

وخَلَّف من الكتب؛ "كتاب الإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام"، وكتاب "شرح أدوية كتاب ديسقوريدس"، بالإضافة إلى كتاب "الجامع في الأدوية المفردة" صنَّفه للملك الصالح، نجم الدين، أيوب بن الملك الكامل، وكتاب "المُغْنِي في الأدوية المفردة"، كتاب "الأفعال الغربية والخواص العجيبة" (ابن أبي أصيبعة، دت، ص 602).

3-2-7- أبو زكريا يحيى البيَّاسي (ت 574هـ / 1178م): هو أمين الدين، أبو زكريا، يحيى بن إسماعيل الأندلسي البيَّاسي، تمكَّن في الصناعة الطيِّبة والعلوم الرياضية، قدِم من المغرب إلى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدةً، ثمَّ توجه إلى دمشق وقطن بها، وتوجت رحلته بالقراءة على ابن النقَّاش البغدادي الذي كان له مجلس عام للمشتغلين عليه، (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 635، 636)، فلازمه وقرأ عليه الكتب السِّتة عشر لجالينوس، وكتب بخطِّه كتبًا كثيرة في الطب وغيره، وكان يعرف النجارة وعمل لابن النقَّاش آلات كثيرة تتعلَّق بالهندسة، وكان له شرف خدمة الملك الناصر، صلاح الدين، يوسف بن أيوب بصناعة الطب، وطلب المُقام بدمشق فأطلق له الملك الناصر جامكيَّة، وبقي مقيمًا في دمشق وهو يتناولها إلى أن توفي (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 637).

3-2-8- حكيم الزمان عبد المنعم الجلياني (ت 603هـ / 1206م): هو أبو الفضل، عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني، تميَّز في الطب والكحلِّ وأعمالهما، كما اشتغل بالكيمياء، وتمكَّن في الأدب و برع في الشعر، أتى من الأندلس إلى الشام، وأقام بدمشق إلى حين وفاته بها

في سنة، وكانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 630).

وكان اهتمامه بالشعر قد فاق أعماله الأخرى، فأغلب ما خلفه من الكتب كان عبارة عن دواوين، وقد عدّها ابن أبي أصيبعة كتبه فيما يلي: ديوان الحكم، وديوان المشوقات، وأدب السلوك، وكتاب نَوَادِرِ الْوَحْيِ، وكتاب تَحْرِيرِ النَّظْرِ، وسرّ البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب، وله ديوان المُبَشِّرَاتِ وَالْقُدْسِيَّاتِ الذي وصف فيه الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين الأيوبي، وله ديوان العَزَلِ والتشبيب والموشحات، ومن الكتب، كتاب "مَنَادِحِ الْمُمَادِحِ وَرَوْضَةِ الْمَأَثَرِ وَالْمَفَاخِرِ مِنْ خَصَائِصِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ" ألفه سنة (569هـ/1174م)، "تعاليق في وصفات أدوية مركبة" (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 635).

ومن أشهر شعره؛ قصيدته الموسومة بـ"الثَّحْفَةُ الْجَوْهَرِيَّةُ"، التي تحيلنا على علاقة الطبيب بالملك الناصر، صلاح الدين، يوسف بن أيوب، فبالإضافة إلى مدائحه فيه صنّف له كتبًا، وكان له منه الإحسان الكثير والإنعام الوافر، وهذه بعض الأبيات من الثَّحْفَةِ: رَفَاهِيَةَ الشَّهْمِ
 افْتَحَمَ الْعِظَائِمُ ... طُلَابًا لِعِزِّ أَوْ غِلَابًا لِضَائِمِ
 فَلَمْ يَحْظَ بِالْعُلَيَاءِ مَنْ هَابَ صَدْمَةَ ... فَعَضَّ عِنَانًا دُونَ قَرَعِ الصَّوَارِمِ
 (ابن أبي أصيبعة، دت، صفحة 630)

- خاتمة:

من أهمّ النتائج التي يمكن استخلاصها كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" يعدّ موسوعة طبيّة أرّخت للطب وللأطباء، وشملت أغلب مناطق العالم من الهند إلى الفرس إلى الجزيرة والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب ... لم يميّز ابن أبي أصيبعة بين الطبيب العربي وغير العربي وبين الطبيب الإسلامي والمسيحي واليهودي والصابئي لتفوق عدد تراجمه 400 ترجمة احتوتها 793 صفحة. اهتمّ ابن أبي أصيبعة بذكر موطن الأطباء اهتمامًا كبيرًا، فقسّم كتابه على حسب اشتراك المترجم لهم في الموطن نحو قوله طبقات أطباء الهند وأطباء مصر وأطباء الشام؛ بل وضّمّن هذه الأبواب أيضًا الموطن الأصلي لبعض الأطباء، ممّن هو من بلدٍ أو حاضرة أخرى وقدم ليستقرّ في مكانٍ غير موطنه الأصلي..

اشتهر أطباء الأندلس الموسوعيّة العلميّة، حيث برعوا في صناعتهم الطبيّة، كما اعتنوا بالعلوم الرياضيّة والمنطق وعلم الكيمياء، وعرفوا الموسيقى والأدب والشعر...، وكان لهم تأثير كبير هناك خاصّةً من خلال مؤلفاتهم، ولعلّ من أكثر الأطباء تأثيرًا الطبيب ابن البيطار.

أحالنا ابن أبي أصيبعة إلى نقطة مهمّة تؤدّي بنا إلى معرفة التواصل الحضاري من خلال تنقّلات الأطباء إلى المناطق الأخرى خاصّةً المشرق الإسلامي، وقد تنوّعت عوامل توجّه الأندلسيين نحو المشرق، للحج أو لطلب العلم، ومنهم من هاجر بسبب الاضطرابات الداخليّة التي شهدتها الأندلس بعد القرن (11/5م)، وكانت الوجهة في أغلبها نحو كلٍّ من مصر والشام وبغداد... وكانت تنتهي الرحلة إمّا بالاستقرار أو بالعودة إلى الوطن.

تتلّمذ بعض أطباء الأندلس لدى مشاهير الأطباء في المشرق الإسلامي، ومن أهمّهم فخر الدين بن خطيب الري، وثابت بن سنان، وابن النقّاش، ومهذب الدين عبد الرحيم بن علي، وغيرهم فتأثروا بطرقهم التعليميّة واستفادوا من علومهم.

حضرت المدرسة الأندلسيّة في التعليم بقوة ببلاد المشرق الإسلامي، حيث عُرف لدى الأطباء الأندلسيين مجالسهم التعليميّة من أمثال، أبو الحكم، وضياء الدين بن البيطار، وأبو الحجاج، يوسف الإسرائيلي الذي كان له مجلس لتعليم الطب بحلب.

المكانة التي حظّي بها أطباء الأندلس، حيث أوجدوا لأنفسهم مكانة تمكّنهم من الخدمة في البيمارستانات الكبرى ببلاد المشرق الإسلامي مثل، الطبيب أبو الحكم الذي خدم بالبيمارستان النوري الكبير.

حظّي الأطباء الأندلسيين بمكانة جيّدة لدى الحكام، فتشرّفوا بخدمتهم مثل، الطبيب أبو جعفر، أحمد بن حسداي، وأبو العباس بن الروميّة، وأبو زكريا، يحيى البياسي، ومن الحكام الذين تمت خدمتهم، الناصر، صلاح الدين الذي خدمه الطبيب المغربي الرئيس موسى ...

تأليفهم للكتب في الطب وفي غيره من العلوم كالشروح والاختصارات لكتب القدامى، ومنها ما هو عبارة عن مقالات، وكتب جامعة، وقد ذكرنا خلال هذا البحث أكثر من أربعين مؤلّفًا.

عرف عن أطباء الأندلس اهتمامهم بالشعر، ذلك أنّ ابن أبي أصيبعة خصّص لهم ضمن تراجمهم صفحات تكلم فيها عن أهمّ ما قالوه في المدح والهجاء وغيرهما.



كان لابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء اجتماعات ولقاءات مع بعض أطباء الأندلس؛ ممّن تواجد ببلاد المشرق الإسلامي في عصره، وكانت له معهم أحداث، ومن أهمّها أنّه تتلمذ على أيديهم، وخاصةً ضياء الدين بن البيطار.

- التعليقات:

-التعليق 01: اختلف الكُتّاب والمؤرّخون حول تاريخ حياة ابن أبي أصيبعة، وبدت لنا العديد من الروايات، قال عنه ابن كثير: "أحمد بن القاسم بن خليفة الطبيب... توفيّ بصرخد وقد جاوز التسعين"، وبهذا يكون قد وقرّ لنا تاريخ الوفاة وذكر العمر الذي كان قد توفيّ عنه، فيكون تاريخ ميلاده (578هـ/1183م)، وتبعه في هذا الباحث "عمر رضا كحالة" هو أحمد بن القاسم بن خليفة... وقد جاوز التسعين..، ثمّ أنّه راح هذا الأخير يبسط تاريخ ميلاده ووفاته (596-668هـ/1200-1270م)، وربّما لم ينتبه لهذا الخطأ أو قد يكون أخطط السبعين مع التسعين، أمّا الطرف الآخر فهو ممثلاً أساساً في المؤرّخ ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) بذكره في وفيات سنة (668هـ/1270م) وفيها توفيّ الشيخ موقّق الدين أبو العباس... مات بصرخد في جمادى الأولى، وقد نيف عن سبعين سنة"، وتبعه أحمد عيسى، مؤلّف "ذئيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء" الذي نقل ما رواه ابن تغري بردي، وقد ذكر الباحث "أسامة عانوتي" أنّ ابن أبي أصيبعة قد ولد سنة (600هـ/1203م) بدمشق، وتوفيّ بصرخد سنة (668هـ/1269 أو 1270م) بعدما جاوز التسعين، وأنّه أدرك عصر الانحطاط إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة ويقصد هنا السنوات التي تبعت الاجتياح المغولي على بغداد (656هـ/1958م)، وإذا كان عمره تجاوز التسعين فهذا يعني أنّ مولده كان حوالي سنة (578هـ/1183م)، وهذا يبرز التناقض الذي وقع فيه هؤلاء. أنظر. (ابن كثير، 1988م، صفحة 299). (الصفدي، 2000م، صفحة 193). (رضا كحالة، دت، صفحة 47، 48). (ابن تغري بردي، دت، صفحة 229) (ماهر عبد القادر، 1997، صفحة 142).

-التعليق 02: صرّخد: بالفتح ثمّ السكون، والخاء معجمة، والداد مهملة: بلدٌ ملاصق لبلاد حُوران، من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة، أنظر، (الحموي، 1995، صفحة 401).

-التعليق 3: عاصر ابن أبي أصيبعة أربعة من الخلفاء العباسيين، الناصر لدين الله (575-622هـ/1190-1226م)، والظاهر بأمر الله (حكم تسعة أشهر من عام 622هـ/1226م-)، والمستنصر بالله (622-640هـ/1226-1243م)، والمستعصم بالله (640-656هـ/1243-1258م). (رحيم حلو، 2006، صفحة 124).

التعليق 04: عرف العديد من العلماء والمؤرخين أمثال، المؤرخ بهاء الدين بن شدّاد (ت632هـ/1235م) الذي اشتهر بكتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"، وعزّ الدين بن الأثير (ت630هـ/1234م)؛ صاحب "الكامل في التاريخ"، والمؤرخ المشهور شهاب الدين أبو شامة (ت656هـ/1259م)، ومؤلفه "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وما وقع من الحروب الصليبية"، صاحب كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان" لشمس الدين بن خلكان (ت681هـ/1283م).

التعليق 05: البيمارستان العسدي: أنشأه السلطان "عضد الدولة البُوَيْهي" ببغداد، افتتح عام(372هـ/893م)، برع فيه، أطباء: جبريل بن عُبيد الله بن بختيشوع، وأبو الحسن، بن سنان بن ثابت بن قرّة الحرّاني.. (عيسى بك، 1981، صفحة 187، 195).

التعليق 06: المعزّ لدين الله، أبو تميم، مُعدّ بن المنصور، بنيت القاهرة المُعزّية له، كان صاحب المغرب وكان وليّ عهد أبيه، وليّ سنة(341هـ/953م)، دخل الإسكندرية سنة (362هـ/973م)، ثمّ دخل القاهرة وقد بني له بها قصر الإمارة، وكان عاقلاً لبيباً حازماً ذا أدبٍ وعلمٍ ومعرفةٍ وجمالةٍ وكرمٍ، يرجع في الجملة إلى عدلٍ وإنصافٍ، لولا تشيُّعه لكان من خيار الملوك. (الذهبي، 2006م، صفحة 428، 429).

التعليق 07: يقال أنّ رحيله إلى مصر كان نتيجة تشدّد عبد المؤمن الموحّدي تجاه أهل الذمّة في بلاد المغرب، حين خيّرهم بين الإسلام أو الهجرة فأظهر الإسلام وأسرّ الكفر إلى أن مكنته الفرصة من الرحلة بعد ضمّ أطرافه في مدّةٍ احتملت ذلك، وخرج عن الأندلس إلى مصر مع أهله ونزل مدينة الفسطاط. (القنطي، 2005م، صفحة 239)

التعليق 8: البيمارستان الصلاحي أو الناصري أنشأه السلطان صلاح الدين يوسف بن يوسف بن أيوب بمصر سنة (567هـ/1171م)، حين استولى على أحد قصور الفاطميين ليُجعل أحد قاعاته بيمارستاناً يعالج فيه المرضى والضعفاء، واستخدم له أطباء وكحالين وجراحين وشارفاً وعاملاً وخداماً، ووجد الناس به رفقا وبه نفعا، (عيسى بك، 1981، صفحة 76، 77)

التعليق 09: الملك العادل نور الدين، أبو القاسم، محمّود بن عماد الدين أتابك، ولد عام (511هـ)، ملك الشام والجزيرة ومصر، هو الذي بنى البيمارستان الكبير سنة 549هـ (من مال 1118م) أخذه من أحد ملوك الفرنج، وخصّصه كمشفى للمساكين والفقراء، ثمّ تحوّل ليصبح واحداً من أشهر المشافي ومدارس الطب والصيدلة في البلاد الإسلاميّة، وتعلّم فيه كبار الأطباء مثل، ابن سينا، والزهرراوي... (أبو شامة ش، 1997م، صفحة 31 وما بعدها) (عيسى بك، 1981، الصفحات 206-209).

-التعليق 10: هو السلطان أبو المظفر، محمد، ابن الملك العادل، أبو بكر بن أيوب حاكم الشام ومصر وميافارقين وأمد والحجاز وخلاط واليمن وغير ذلك، ولد في سنة (576هـ/1181م)، حكم مصر أربعين سنة، شطرها في أيام والده، وكان عاقلاً، مهيباً، كبير القدر، توفي بدمشق، في الحادي والعشرين من رجب، سنة (635هـ/1238م) (الذهبي، 2006م، صفحة 127، 129).

- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد عيسى، (1981م). تاريخ اليمارستانات في الإسلام، ط2، بيروت، لبنان: دار الرائد العربي.
- 2- ابن أبي أصيبعة، موقّق الدين، أبو العباس، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (668هـ/1270م)، (د ت). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، دط. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- 3- ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن، (د ت). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دط. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب.
- 4- ابن جبير، أبو الحسين، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت614هـ/1217م)، (د ت). رحلة ابن جبير، دط. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- 5- الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي، (1995م). معجم البلدان، ط2. بيروت: دار صادر.
- 6- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، (1981م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زگار ط1. بيروت: دار الفكر.
- 7- ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت681هـ/1283م)، (1994م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج5، ط1. بيروت: دار صادر.
- 8- الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1348م)، (2006م). سير أعلام النبلاء، ط1. القاهرة: دار الحديث.
- 9- راغب السرجاني، (2009م). قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ.
- 10- رحاب خضر عكاوي، (2000م). الموجز في تاريخ الطب عند العرب، بيروت: دار المناهل.
- 11- رحيم حلو محمد، (2006م). منهج ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مجلة أبحاث ميسان، كلية التربية جامعة البصرة، العدد3، المجلد2، ص ص (123-172).



- 12- رضا كحالة، راغب بن عبد الغني (ت1408هـ/1989م)، (د.ت). معجم المؤلفين، دط. بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.
- 13- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت1396هـ/1978م)، (2002م). الأعلام، ط15. دار العلم للملايين.
- 14- الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ/1364م)، (2000م). الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دط. بيروت: دار إحياء التراث.
- 15- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ/1679م)، (1986م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط1. دمشق - بيروت: دار ابن كثير.
- 16- القفطي، جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف (ت646هـ/1249م)، (2005م). إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- 17- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، (1988م). البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط1. دار إحياء التراث العربي.
- 18- ماهر عبد القادر محمد علي، (1997م). الطب العربي رؤية إبستمولوجية، ط1. بيروت: دار النهضة العربية.
- 19- المقرئ، شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1633م)، (1997م). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ط1. بيروت: دار صادر.
- 20- ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق بن محمد الورّاق البغدادي (ت438هـ/1047م)، (1997م). الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط2، بيروت: دار المعرفة.
- 21- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت927هـ/1522م)، (1990م). المدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1. دار الكتب العلمية.
- 22-D Lucien Leclerc, (1876). Histoire de la médecine Arabe ; expose complet des traductions du grec les sciences en orient ; tomes second ; parix :Ernest leroux; éditeur.